



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران
مراکز تخصصی



مجلس شورای اسلامی

استبصار علی الصیاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

رقم الإيداع بمركز التخطيط والمعلومات
بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
2019 / 8

فهرست مكتبة الكويت الوطنية
رقم الإيداع والترقيم الدولي:
ISBN: 978 - 9921 - 706 - 15 - 4

مُحْفَوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

الطبعة الأولى
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي فضّل شهر رمضان على سائر الشهور، وأنزل فيه القرآن الكريم ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وجعل فيه ليلةً مباركة، هي خير الليالي، وهي خير من ألف شهر. والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن شهرَ رمضانَ هو سيّدُ الشهور؛ لما اجتمع فيه من الفضائل. فقد اختاره الله ﷻ من بين الشهور، فأُنزل فيه القرآن العظيم. وقد نزل في ليلة مباركة من هذا الشهر المبارك، هي ليلة القدر. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

وإن ذلك ليدلُّ أعظمَ دلالةٍ على عِظَمِ شأنِ هذا الشهر المبارك، وأنَّ له خصوصيةً بالقرآن؛ إذ فيه حصلٌ للأمة من الله ﷻ هذا الفضل العظيم، بنزول القرآن الكريم، المشتمل على الهداية والنور، والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والهداية لمصالح الدين والدنيا، وفيه تبيينُ الحقِّ بأوضح بيانٍ، وفيه الفرقانُ بين الهدى والضلال، والحقِّ والباطل، والظلمات والنور.

ومن شأن الأبرار أنهم يسارعون إلى اغتنام الأزمنة الفاضلة، وعماراً هذه المواسم المباركة بطاعة الله تعالى، والتعرض فيها لنفحات الله تعالى، والتلذذ بما يقربهم إلى الله ﷻ من صالح الأعمال، فلا شك أن الأبرار يحبون تلك الأزمنة، وينتظرونها، ويعدون العدة لها كحال تجار الدنيا الذين ينتظرون المواسم؛ لعظيم الرواج فيها، فإذا جاءت هذه المواسم شمروا عن ساعد الجد، وقد تحملهم شدة الحرص على التضحية براحتهم، ويتعرضون للمخاوف والأخطار غير مباليين بما ينالهم من شدة وعناء، بل يستسهلون في سبيل الربح جميع الصعاب. هذا حال تجار الدنيا الذين يطلبون ربحاً غير مضمون، فقد يكون وقد لا يكون، فكيف إذا كان موسم التجارة موسمًا لا خسارة فيه ولا غش ولا كساد؟ بل هي تجارة مأمونة رابحة لن تبور.

إنها التجارة مع الله ﷻ ولا سيما في مواسم الطاعات المباركة، كشهر رمضان، سيد الشهور.

ويكون حال الصالحين بعد تلك المواسم أفضل من حالهم قبلها؛ وذلك لما تركه من الأثر في نفوسهم، فهي بمثابة دورة تدريبية فعالة، تنمي شعور المراقبة، وتحمل الإنسان على ترك الماديات والشهوات، وعلى المسارعة إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، وترتقي به إلى أفق

أسمى من المحبة والقرب من المحبوب. وإن كان لتلك المواسم ما يميزها عن سائر الأيام الأخرى من حيث الاجتهاد في اغتنام أوقاتها، والتشوق لقدمها، كما جاء في الحديث: ((كان رسول الله ﷺ أجودَ النَّاسِ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدَارِسُهُ القرآنَ، فلرَسُولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الرِّيحِ المرسَلَةِ))^(١). فحقيقٌ بشهرٍ هذا فضله، وهذا إحسانُ الله على عباده فيه أن يعظّمه العبادُ، شكرًا لله ﷻ على فضله وكرمه، وأن يكون موسمًا للعبادة، وزادًا عظيمًا ليوم المعاد.

(١) صحيح البخاري [٦، ١٩٠٢، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤، ٤٩٩٧]، مسلم [٢٣٠٨].

أولاً: تعريف الصوم:

الصِّيَامُ وَالصَّوْمُ: مصدر صام. صام الرجل صَوْماً وصِيَامًا. قيل: هو مطلق الإمساك في اللُّغَةِ، ثم أُسْتُعْمِلَ في الشَّرْعِ في إمساكٍ مخصوص. قال أبو عبيدة: كُلُّ مَمْسِكٍ عن طعامٍ أو كلامٍ أو سيرٍ فهو صائم. يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير. وصامت الريح: إذا أمسكت عن الهبوب. ورجل صائمٌ وصَوَّامٌ مبالغة.

والعرب تسمي كل ممسك صائمًا، ومنه: الصوم في الكلام. وفي التنزيل: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] (١).

وهو في الشرع: عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة، في زمن مخصوص، من شخص مخصوص، بنية مخصوصة (٢).

وقيل: الإمساك عن أشياء مخصوصة، وهي: الأكل، والشرب، والجماع، بشرائط مخصوصة (٣).

(١) انظر: العين، مادة: (صوم) (٧/ ١٧١)، الصحاح، للجوهري (٥/ ١٩٧٠ - ١٩٧١)، تهذيب اللغة (١٢/ ١٨٢)، المصباح المنير (١/ ٣٥٢)، المخصص (٤/ ٥٩)، المحيط (٢/ ٢٣٧)، المطلع على ألفاظ المتنوع (ص: ١٨٢)، وانظر: روح المعاني (١/ ٤٥٣)، البحر المحيط في التفسير (٢/ ١٧٢)، غرائب القرآن (١/ ٤٩٤).

(٢) انظر: روح المعاني (١/ ٤٥٣)، المطلع على ألفاظ المتنوع (ص: ١٨٢).

(٣) بدائع الصنائع (٢/ ٧٥).

وقيل: «هو ترك الأكل والشرب والجماع من الصُّبح إلى الغروب بنيةً من أهله»^(١).

وفي (المقدمات): «إمساك عن أشياء مخصوصة، في أزمان معلومة على وجوه مخصوصة، فهو إمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مع اقتران النيات به على اقتران وجوهها، من فرض واجب، أو تطوع غير لازم، أو كفارة يمين، أو غيره، فمتى انخرم وجه من هذه الوجوه لم يكن صائماً شرعاً، وإن صحَّ أن يسمَّى: صائماً في اللغة على ما قدمناه»^(٢).

وقال النيسابوري رحمه الله: «الصيام في الشرع: عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة تسمى: المفطرات، كالأكل والشرب والوقاع، في زمان مخصوص، هو من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس. ولا بد في صحته من النية، وأن يقع في غير يومي العيد بالاتفاق، وفي غير أيام التشريق عند الأكثرين. ويوافقه الجديد من قول الشافعي رحمه الله: (ومن غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة). ولا بد للصائم

(١) انظر: كنز الدقائق (ص: ٢١٩)، وانظر: تبيين الحقائق (١/٣١٢)، البحر الرائق

(٢/٢٧٨)، رد المحتار على الدر المختار (٢/٣٧١)، درر الحكام (١/١٩٦).

(٢) المقدمات الممهديات، لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي (١/٢٣٧-٢٣٨).



كتاب علي الصياغ

من الإسلام، والنقاء عن الحيض والنفاس، ومن العقل كل اليوم،
ومن انتفاء الإغماء في جزء من اليوم»^(١).

(١) غرائب القرآن (١/ ٤٩٤).

ثانيًا: صيام رمضان ركن من أركان الإسلام:

إن من بين أركان الإسلام العظيمة ركن الصيام، وهو رابع أركان الدين، كما جاء في الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت))^(١).

وقد ورد في صيام رمضان آيات كريمة، وأحاديث عظيمة تدلُّ على تمام الإكرام من الله ﷻ، فمن الأحاديث: ما جاء في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: ((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث^(٢) ولا يصخب^(٣)، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده، خلُوفُ فم الصائم^(٤) أطيب

(١) صحيح البخاري [٨]، مسلم [١٦].

(٢) الرفث: الجماع وما دونه من التعريض به، وذكر ما يفحش من القول.

(٣) ((يصخب)) من الصخب وهو الخصام والصياح، وأن يكثر لغطه. وعند مسلم: ((ولا يسخب))، قال الإمام النووي رحمته الله: «هكذا هو هنا بالسين، ويقال بالسين والصاد، وهو الصياح، وهو بمعنى الرواية الأخرى: ((ولا يجهل، ولا يرفث))». شرح النووي على صحيح مسلم (٣١ / ٨)، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٥٨ / ٤). والرواية الأخرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين)) أخرجه البخاري [١٨٩٤]. واللفظ عند (مسلم) [١١٥١]: ((إذا أصبح أحدكم يوماً صائمًا، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم)).

(٤) الخلوف: تغير رائحة الفم من أثر الصيام لخلو المعدة من الطعام.

عند الله، يوم القيامة، من ربح المسك. وللصائم فرحتان يَفْرَحُهُمَا: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه^(١).

ف قوله: ((كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به)) بيان لعظم فضله؛ لأن الكريم إذا تولى الجزاء بنفسه اقتضى عظم قدر الجزاء، وسعة العطاء.

وصيام رمضان من أسباب دخول الجنة، ورفعة الدرجات، كما جاء في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة))، قيل: يا نبي الله، وما أداء الأمانة؟ قال: ((الغسل من الجنابة، إن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها))^(٢).

وعن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل من قضاة إلى رسول الله ﷺ فقال: إني شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت

(١) صحيح البخاري [١٩٠٤، ٧٤٩٢]، مسلم [١١٥١].

(٢) أخرجه أبو داود [٤٢٩]، ومحمد بن نصر المروزي في (الوتر) (ص: ٢٧٢)، والطبراني كما في (مجمع الزوائد) قال الهيثمي (١/ ٤٧): رواه الطبراني في (الكبير) وإسناده جيد. وقال أيضاً المنذري (١/ ١٤٨): «إسناده جيد». وأخرجه أيضاً: وأبو نعيم في (الحلية) (٢/ ٢٣٤).

الصلوات الخمس، وصمت رمضان وقمته، وآتيت الزكاة، فقال رسول الله ﷺ: ((من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء))^(١).

لقد اختص الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعض الأزمنة وشرفها بمزايا وفضائل دائمة مستمرة غير منقطعة، وخصّها بقرب تؤدي فيها، وضاعف لعباده الأجر فيها، وحثهم على التبعّد له فيها، كشهر رمضان، والعشر الأواخر منه، وليلة القدر.

وقد فاضل الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بين الأزمنة كما فاضل بين الأمكنة، وكما فاضل بين الخلائق. فمن الأزمنة الفاضلة من أيام الأسبوع: يوم الجمعة، ومن أيام السنة: يوم عرفة، ومن ليالي السنة: ليلة القدر، ومن شهور السنة: شهر رمضان.

وقد نصّ العلماء على أن الأعمال الصالحة يتضاعف ثوابها؛ لشرف الزمان، أو شرف المكان، أو بهما معاً، وكذا المعصية يتضاعف وزرها في الأماكن المفضلة، كمكة - شرفها الله تعالى -، وفي الأزمنة المفضلة، كرمضان وغيره.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) [٢٥٥٨]، والبزار كما في (كشف الأستار) [٢٥]، وابن خزيمة [٢٢١٢]، وابن حبان [٣٤٣٨]، والطبراني في (الشاميين) [٢٩٣٩]، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٣٣٤٥]. قال الهيثمي (١/٤٦): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخه البزار، وأرجو إسناده أنه إسناده حسن أو صحيح».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا اسْتَعْمَلَهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ، وَإِذَا مَقَّتَهُ اسْتَعْمَلَهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ بِسِيِّئِ الْأَعْمَالِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَوْجَعَ فِي عِقَابِهِ، وَأَشَدَّ لِمَقْتِهِ؛ لِحِرْمَانِهِ بِرُكَّةِ الْوَقْتِ، وَانْتِهَاكِهِ حُرْمَةَ الْوَقْتِ»^(١).

وقال ابن رجب رحمه الله: «العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره، ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره»^(٢).

وقال ابن مفلح رحمه الله في (الآداب الشرعية): «زيادة الوزر كزيادة الأجر في الأزمنة والأمكنة المعظمة»^(٣).

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: «المعاصي في الأيام المعظمة والأمكنة المعظمة تغلظ معصيتها وعقابها بقدر فضيلة الزمان والمكان»^(٤).

(١) إحياء علوم الدين (١/١٨٨).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٢٦١).

(٣) الآداب الشرعية (٣/٤٣٠).

(٤) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٣/٤١٢).

فضائل شهر رمضان:

١- نزول القرآن الكريم: قال الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٣-٦]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

٢- غفران الذنوب، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من صام رمضان، إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))^(١).

٣- استجابة الدعاء، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا ترد دعوتهم))، وذكر منهم: ((الصائم حين يفطر))^(٢).

(١) صحيح البخاري [٢٠١٤]، مسلم [٧٦٠].

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه [٣٠٠]، وأحمد [٨٠٤٣]، وابن ماجه [١٧٥٢]، والترمذي [٣٥٩٨]، وقال: «هذا حديث حسن». وأخرجه أيضاً: ابن خزيمة [١٩٠١]، وابن حبان [٣٤٢٨]، والبيهقي [٦٣٩٣].

٤- فيه ليلة القدر. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ سَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ [القدر: ١-٥].

٥- تُصَفِّدُ فِيهِ الشَّيَاطِينَ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ))^(١). وفي لفظ: ((وسلسلت الشياطين))^(٢).

٦- تكفر فيه الذنوب، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر))^(٣).

(١) صحيح مسلم [١٠٧٩]. والصفد هو الغل، أي: أوثقت بالأغلال.

(٢) صحيح البخاري [١٨٩٩، ٣٢٧٧]، مسلم [١٠٧٩] (٢). و((سلسلت الشياطين)): شدت بالسلاسل، ومنعت من الوصول إلى بغيتها من إفساد المسلمين بالقدر الذي كانت تفعله في غير رمضان.

(٣) صحيح مسلم [٢٣٣].

٧- العمرة في رمضان يعدل ثوابها ثواب حجة مع النبي ﷺ، كما جاء في الحديث: ((عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي))^(١).

ورمضان موسم الخير، تضاعف فيه، وترجى فيه المغفرة، والمحروم حقاً في هذا الشهر من حرم رحمة الله ﷻ، من أدرك رمضان ولم يغفر له، كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((رَغِمَ أَنْفُ رجل ذكرت عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رجل دخل عليه رمضان ثم أنسلخ قبل أن يُغفرَ له، وَرَغِمَ أَنْفُ رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة))^(٢). وقوله: ((رَغِمَ أَنْفُ)) أي: لَصِقَ بِالرُّغَامِ، وهو التُّراب، كناية عن غاية الذل والهوان، وهو إخبارٌ أو دعاء.

وإنما تنال رحمة الله بالإقبال عليه والاجتهاد في طاعته وعبادته. جاء في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم، أغلق فلم يدخل منه أحد))^(٣).

(١) صحيح البخاري [١٨٦٣].

(٢) أخرجه أحمد [٧٤٥١]، والترمذي [٣٥٤٥]، وقال: «حسن غريب». وأخرجه أيضاً: البزار [٨٤٦٥]، وابن حبان [٩٠٨].

(٣) صحيح البخاري [١٨٩٦]، مسلم [١١٥٢].

والصيام جُنةٌ ووجاء، شرع لتصفية مرآة القلب والعقل، ولرياضة النفس بحبسها عن شهواتها، ولكبحها عن الاسترسال في اللذات، وإمساكها عن خسيس العادات. فهو تصفية للقلب من كدورات البشرية، وتشبه بالملائكة الروحانية، وتعرض لنفحات الله ﷻ ورحماته، ومغفرة للذنوب، وإجابة للدعوات، واكتساب للحسنات، وتنقية لصحائف الأعمال من المخالفات، وخضوع لله ﷻ، وتعود على الصبر والمكاره، ومواساة للفقراء والمساكين، وحفظ للسان والجوارح، وتنظيم للوقت، وقوة للجسد، وتقوية للإرادة، فهو قيادة للنفس، فمن لم يستطع أن يقود نفسه هيئات أن يقود غيره!! ومن لم ينتصر على نفسه هيئات أن ينتصر على عدوه!!

وفي الصوم خصيصة ليست في غيره، وهى إضافته إلى الله ﷻ حيث يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ((الصوم لي وأنا أجزى به))، وكفى بهذه الإضافة شرفاً، كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿**وَطَهَّرَ بَيْتِي**﴾ [الحج: ٢٦]. وإنما فضل الصوم لمعنيين:

أحدهما: أنه سر وعمل باطن، لا يراه الخلق، ولا يدخله رياء.

الثاني: أنه قهر لعدو الله؛ لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، وما دامت أرض الشهوات مُحْصَبَةً،

فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى، ويترك الشهوات تضيق عليهم المسالك^(١).

وأهم مقاصد الصيام أنه يورث المراقبة لله ﷻ والتقوى؛ إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه، حيث إنه ينمي في الصائم شعور المراقبة لله تعالى، فالإنسان الذي يخلو بنفسه لا يمنعه شيء عن الأكل والشرب سوى شعوره بأن الله تعالى مطلع عليه في كل ما يصنع، فيتعد عما يسخط الله تعالى من قول أو عمل، وهذا معنى قول النبي ﷺ: ((وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ)).

أما إذا كان الصيام قد أصبح عند الكثيرين عادة، أو أنه يصوم لنصيحة طيب لا عن عقيدة وإيمان واحتساب فإن الصيام لا يثمر في نفسه تلك الثمرات الناشئة عن المراقبة لله ﷻ، فإذا انعدم شعور الصائم بالمراقبة فليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وهذا معنى قول النبي ﷺ: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))^(٢)، وقوله ﷺ: ((من صام رمضان، إيماناً واحتساباً...))، وقال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فليس

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٣).

(٢) صحيح البخاري [١٩٠٣، ٦٠٥٧].

المراد مجرد الإمساك عن الطعام والشراب والجماع دون ما يحقق الصيام من الأثر في الصائم، وهو التقوى، وهي صيانة المرء نفسه عما يضر في الآخرة.

وقد فرض الله تعالى الصيام على أمة محمد ﷺ كما فرضه على من قبلها من الأمم؛ لأن الصيام يمتاز عن بقية العبادات بأنه مدرسة تدريبية فعالة تحمل المسلم على ترك الماديات والشهوات والعادات السلوكية المنحرفة، فتسموا روح الصائم، وتزكو نفسه، ويشرق قلبه، وعند ذلك يجد لذة العبادة، ويتذوق حلاوة الطاعة.

وليس كالصوم شيء يصلح النفوس، ويحملها على أمهات الفضائل، ويحملها بمكارم الأخلاق، ويزيدها تحرزاً عن كل خلق قبيح. فبالصوم يكون المسلم عفيفاً مهذباً لا يسب ولا يغتاب. وينبغي أن يكون هذا حاله بعد الصيام؛ لأنه قد استفاد من هذه المدرسة. وفي الحديث: ((فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم))^(١).

وأما تأثير الصوم في المجتمعات فيتجلى في تحقيق الشعور والحس المرهف بالمساواة بين الناس، فالصائم عندما يجوع يتذكر الفقير فيواسيه، فتظهر وحدة المسلمين، وتماسكهم، وتعاطفهم.

(١) تقدم.

وإذا كان في الصوم فرصة لتقوية الروح ففيه كذلك فرصة لتقوية البدن، فإن كثيراً مما يصيب الناس من أمراض إنما هو بسبب بطونهم التي يتخمونها بكل ما تشتهي، وقد قال النبي ﷺ: ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه))^(١).

وإذا كان البطن مستتقع البلايا فإن الحمية رأس الدواء، وليس كالصوم فرصة تستريح فيها المعدة، ويتخلص الجسد من كثير من فضلاته الضارة.

وفي الصوم تقوية للإرادة، وتربية على الصبر، فالصائم يجوع وأمامه شهية الطعام، ويعطش وبين يديه بارد الماء، ويعف وإلى جانبه زوجته، لا رقيب عليه في ذلك إلا ربه، يتكرر ذلك خمس عشرة ساعة أو أكثر كل يوم، وتسعة وعشرين أو ثلاثين يوماً في كل عام، عدا النوافل والكفارات والقضاء والمنذورات.

(١) أخرجه أحمد [١٧١٨٦]، وابن ماجه [٣٣٤٩]، والترمذي [٢٣٨٠]، وقال: «حسن صحيح». وأخرجه أيضاً: النسائي في (الكبرى) [٦٧٣٧]، وابن حبان [٦٧٤] والطبراني [٦٤٤]، والحاكم [٧١٣٩]، وقال: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.

فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية، وتعليم الصبر الجميل كمدرسة الصوم التي يفتحها الإسلام إجبارياً للمسلمين في شهر رمضان. وحسبك أن تسمع نداء النبي ﷺ للشباب: ((يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))^(١).

إن الإسلام ليس دين استسلام وخمول وكسل، بل هو دين جهاد وكفاح متواصل، وهمة عالية. وأول عدة الجهاد: الصبر والإرادة القوية، فمن لم يجاهد نفسه هيئات أن يجاهد عدوا، ومن لم ينتصر على نفسه وشهواتها هيئات أن ينتصر على عدوه. ومن لم يصبر على جوع هيئات أن يصبر على فراق أهل ووطن من أجل هدف كبير.

والحاصل أن لفرض الصيام حكماً اجتماعية، من اجتماعهم على عبادة واحدة، في وقت واحد، وصبرهم جميعاً، قوياً وضعيفهم، شريفيهم ووضيعهم، غنيهم وفقيرهم، على معاناتها وتحملها، مما يسبب ربطاً قلوبهم، وتآلف أرواحهم، ولم كلمتهم. كما أنه سبب عطف بعضهم على بعض، ورحمة بعضهم بعضاً، حينما يُحس الغني ألم الجوع، ولدغ الظمأ فيتذكر أن أخاه الفقير يعاني هذه الآلام دهره كله،

(١) صحيح البخاري [١٩٠٥، ٥٠٦٥، ٥٠٦٦]، مسلم [١٤٠٠].

فيجود عليه من ماله بشيء يزيل الضغائن والأحقاد، ويحل محلها المحبة والوئام.

ومنها، حكم أخلاقية تربية، فهو يعلمُّ الصبر والتحمل، ويقوي العزيمة والإرادة، ويمرّن على ملاقات الشدائد وتذليلها، والصعاب وتهوينها.

ومنها: حكم صحّيّة، فإن المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء كما تقدم.

ثالثاً: عقوبة من أفطر فيه رمضان من غير عذر:

ومن ترك صيام رمضان بغير عذر فلا يخلو إمّا أن يتركه جحوداً، أو كسلاً، فإن تركه تركه جحوداً فهو كافر؛ لأنه أنكر أمرًا مجمعاً معلوماً من الدين بالضرورة، ورُكناً من أركان الإسلام، وأمّا من تركه كسلاً فهو فاسق، وقد ورد في حقه وعيد شديد.

ويتساهل البعض بتعمد الإفطار في رمضان، فيفطر أياماً منه من غير عذر، ويفطر البعض رمضان كله وهو في عافية من الأمراض، وسلامة من الأعذار، ولكنه يتبع النفس والهوى والشيطان.

والأخطر من ذلك من يُجاهر بالإفطار في رمضان منتهكاً حرمة الشهر، وحرمة المجتمع، فتجدّه يتحدّى مشاعر المسلمين الصائمين، فيُدخّن ويأكل ويشرب في العمل أو في الشارع.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة من الله لقي الله به، وإن صام الدهر كله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه))^(١).

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في (الكبائر): «وعند المؤمنين مقرر أن

(١) أخرجه عبد الرزاق في (مصنفه) [٧٤٧٦]، والطبراني في (الكبير) [٩٥٧٤]. قال الهيثمي (٣/١٦٨): «رواه الطبراني في (الكبير)، ورجاله ثقات».

من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا غرض^(١) أنه شر من الزاني،
والمكَّاس، ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه، ويظنون به الزندقة
والانحلال»^(٢).

وقد ورد الوعيد الشديد فيمن أفطر في نهار رمضان من غير عذر
كما جاء في الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: ((بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بزبعتي فأتيا بي
جبالاً وعُراً، فقالا لي: اضعد حتى إذا كنت في سِوَاءِ الْجَبَلِ، فإذا أنا
بصوتٍ شديد، فقلتُ: ما هذه الأصواتُ؟ قال: هذا عِوَاءُ أَهْلِ النَّارِ،
ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ، مُشَقَّقَةَ أَشْدَاقِهِمْ، تَسِيلُ
أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، فقلتُ: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء الذين يُفْطِرُونَ قَبْلَ
تَحَلُّةِ صَوْمِهِمْ، ثم انطلق بي، فإذا بقوم أشدَّ شيءً انْتِفَاحًا، وَأَنْتَبِهَ رِيحًا،
وَأَسْوَوْتَهُ مَنْظَرًا، فقلت: من هؤلاء؟ قيل: الزَّائُونَ وَالزَّوَانِي، ثم انطلق
بي، فإذا بنساءٍ تَنْهَشُ ثُدْيَتَهُنَّ الْحَيَّاتُ، قلتُ: ما بال هؤلاء؟ قيل: هؤلاء
السَّائِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ الْبَاءَتَيْنِ، ثم انطلق بي، فإذا أنا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ
مَهْرَيْنِ، فقلتُ: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، ثم شَرَفَ بي

(١) أي: بلا عذر يبيح ذلك.

(٢) الكبائر (ص: ٣٠).

شرفاً، فإذا أنا بثلاثة يشربون من حَمْرٍ لهم، فقلتُ: من هؤلاء؟ قالوا: هذا إبراهيمُ، وموسى، وعيسى وهم ينتظرونك))^(١).

والحديث يفيد الوعيد الشديد في حق من أفطر في نهار رمضان من غير عذر، وأن العذاب واقع بهم، فيرون مُعلَّقين بعراقيهم كما يُعلَّق الجزارُ الذبيحة، وقد شقَّت أَسْداقهم، والدم يسيل منها.

وقوله: ((قَبْلَ مَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ)) معناه: يفطرون قبل وقت الإفطار، أي: قبل تحقق دخول وقته.

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «هذه عقوبة من صام ثم أفطر عمداً قبل حلول وقت الإفطار، فكيف يكون حال من لا يصوم أصلاً؟! نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة»^(٢).

قال ابن حجر الهيتمي رحمته الله: «وظاهر أن مثل ذلك: ترك واجب مضيق من نذر وكفارة، فيكون كبيرة كالإفطار منه بغير عذر، وظاهر -والله أعلم- أن حكمة كثرة ما جاء من الوعيد في ترك الصلاة والزكاة دون الصوم: أنه لا يتركه كسلاً مع القدرة عليه إلا الفذ النادر، بخلاف ترك الصلاة والزكاة فإنه كثير في الناس، بل أكثر الناس يتهاونون

(١) أخرجه: ابن خزيمة [١٩٨٦]، وابن حبان [٧٤٩١]، والطبراني [٧٦٦٧]، والحاكم [٢٨٣٧]، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١٦٧١ - ١٦٧٢).

بالصلاة والزكاة، ومع ذلك يثابرون على الصوم، ومن ثم تجد كثيرين يصومون وهم لا يصلون، وكثيرين لا يصلون إلا في رمضان دون غيره»^(١).

أما عقوبة من أفطر عمدًا في رمضان من غير عذر في الدنيا فقد اختلف العلماء فيها، فقال الحنفية: إن تارك الصوم كتارك الصلاة، إذا كان عمدًا كسلاً، فإنه يجبس حتى يصوم. وقيل: يضرب في حبسه. كما جاء في (البحر): «والمفطر في رمضان يعزر ويجبس»^(٢).

وقال الخطيب الشربيني الشافعي رحمته الله: «ووجوبه معلوم من الدين بالضرورة، فمن جحد وجوبه فهو كافر، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ بعيداً عن العلماء. ومن ترك صومه غير جاحد من غير عذر كمرض وسفر كأن قال: الصوم واجب عليّ ولكن لا أصوم، حبس ومنع الطعام والشراب نهاراً؛ ليحصل له صورة الصوم بذلك»^(٣).

وقال: أبو اسحاق الشيرازي رحمته الله: «ومن أفطر في رمضان بغير جماع

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣٢٤).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٥/ ٤٦)، وانظر: رد المحتار على الدر المختار (٤/ ٦٧).

(٣) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (١/ ٢٣٤) مغني المحتاج (٢/ ١٤٠)، حاشية البجيرمي على الخطيب (٢/ ٣٧٢)، نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص: ١٨٤).

من غير عذر ووجب عليه القضاء، والإمساك بقية النهار؛ لأنه أفطر بغير عذر، فلزمه إمساك بقية النهار، ولا تجب عليه الكفارة، وإن بلغ ذلك السلطان عذره؛ لأنه محرّم ليس فيه حدٌّ ولا كفارة، فثبت فيه التعزيز، كالمباشرة فيما دون الفرج من الأجنبية^(١). وبه قال أحمد وداود^(٢).

وفي (منح الجليل): «وجب تأديب ومعاقبة الشخص المفطر في أداء رمضان عمدًا، اختيارًا، بلا تأويل قريب، بما يراه الإمام من ضرب، أو سجن، أو منها معًا. وإن كان فطره بموجب حدٍّ كزنا وشرب مسكر حدًّا وأدب، وإن كان رجماً قُدِّم الأدب. واستظهر بعضهم سقوط الأدب بالرجم؛ لإتيان القتل على الجميع»^(٣).

ومفهومه: أنه إن كان الحدُّ جلدًا، فإنه يُقدِّم على الأدب. فإن جاء المفطر عمدًا قبل الاطلاع عليه، حال كونه تائبًا، قبل الظهور عليه، فلا يؤدب^(٤).

(١) المهذب في فقه الإمام الشافعي (١/ ٣٣٦-٣٣٧)، وانظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ١٦٥).

(٢) انظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ١٦٥).

(٣) منح الجليل شرح مختصر خليل (٢/ ١٥٤)، وانظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/ ٥٣٧).

(٤) انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للدردير (١/ ٥٣٧)، جواهر الإكليل (١/ ١٥٤)، منح الجليل (١/ ٤١٢-٤١٣)، شرح الزرقاني بحاشية البناني (٢/ ٢١٥-٢١٦).

وقال ابن جُزَي رحمته الله: «وأما العقوبة فهي للمنتهك لصوم رمضان، وذلك بقدر اجتهاد الإمام، وصورة حاله»^(١). ولعل هذا القول هو الأقرب إلى مقاصد التشريع.

(١) القوانين الفقهية (ص: ٨٤).

رابعًا: الوقاية والعلاج من آفات الإفطار من غير عذر:

- ١- العلم بأركان الإسلام، وأن الصيام رابعها.
- ٢- معرفة فضل الصيام، وأحكامه وآدابه، وتعليمها للأولاد والطلاب.
- ٣- العلم بعاقبة من ترك صيام شهر رمضان من غير عذر، أو ترك صيام يوم أو أيام منه من غير عذر.
- ٤- مراقبة الله تعالى في سائر الأحوال، وأن يتذكر العبد أن الله مُطَّلَعٌ على السرائر.
- ٥- تذكر الموت والآخرة.
- ٦- الاستعانة على الصيام بالإكثار من النوافل.
- ٧- حضور مجالس العلماء التي تذكر بالآخرة، والتفقه في الدين، ومن ذلك: تعلم آداب الصيام وأحكامه.
- ٨- الاستعانة على الصيام بأكلة السَّحَر:

جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:
 ((تسحروا؛ فإن في السحور بركة))^(١).

ويستحب تأخير السحور؛ لأنه أقرب إلى حصول المقصود منه من حفظ القوى، والتقوي به على النشاط كما جاء في الحديث:
 عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: ((تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى

(١) صحيح البخاري [١٩٢٣]، مسلم [١٠٩٥].

الصلوة))، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: ((قدر خمسين آية)^(١)). وفي رواية: ((قدر خمسين أو ستين))، يعني: آية^(٢). قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «فيه دليل على استحباب السحور للصائم. وتعليل ذلك بأن فيه بركة. وهذه البركة: يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية؛ فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته. ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية؛ لقوة البدن على الصوم، وتيسيره من غير إجحاف به. و(السحور) بفتح السين: ما يتسحر به. وبضمها الفعل. هذا هو الأشهر. و(البركة) محتملة لأن تضاف إلى كل واحد من الفعل والمتسحر به معاً»^(٣).

٩- تدريب الأولاد منذ الصغر على الصيام.

(١) صحيح البخاري [١٩٢١]، مسلم [١٠٩٧].

(٢) صحيح البخاري [٥٧٥].

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٩/٢). قال ابن الملقن رحمه الله: ويجوز أن تكون البركة بمجموع الأمرين: وحاصل البركة في السحور يتنوع أنواعاً: أولها: اتباع السنّة والاقتداء. ثانيها: مخالفة أهل الكتاب في الزيادة في الأكل على الإفطار. ثالثها: التقوي به والنشاط للصوم سيما الصبيان. رابعها: التسبب للصدقة على من يسأل إذ ذاك. خامسها: التسبب لذكر الله والدعاء وللرحمة فإنه وقت الإجابة. سادسها: التسبب في حسن الخلق؛ فإنه إذا جاع ربما ساء خلقه. سابعها: تجديد نية الصوم فيخرج من خلاف من أوجب تجديدها إذا نام ثم تنبه. ثم قال: أجمع العلماء على استحباب السحور، وأنه ليس بواجب، وإنما الأمر به أمر إرشاد، وهو من خصائص هذه الأمة. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن الملقن (١٨٧/٥ - ١٨٨).

١٠- الإكثار من الجلوس في المساجد:

أخرج ابن أبي شيبة عن أبي المتوكل، أن أبا هريرة رضي الله عنه وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد^(١). وقالوا:
نظهر صيامنا^(٢).

١١- صحبة الصالحين، وأصحاب الهمم، والبعد عن صحبة
المجاهرين بالمعاصي.

١٢- البعد عن أماكن الشبهات، والإعلام الهابط.

١٣- الواجب على أفطر من رمضان من غير عذر، أن يتوب إلى
الله سبحانه وتعالى توبةً نصوحًا، وأن يندم على ما فات، ويعقد
العزم على عدم العود، وأن يقضي الأيام التي أفطرها إذا كان
الإفطار عاريًا عن الجماع، وإلا فإنه يقضي ويكفر.

١٤- مخالفة النفس والشيطان والهوى.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٨٨٨١].

(٢) حلية الأولياء (١/ ٣٨٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

